١٥

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
King Faisal Center for Research and Islamic Studies

قراءات

جمادى الآخرة ١٤٤٢هـ / فبراير ٢٠٢١م

الضَّبّ:
في رسوم صخرية من تيماء المملكة العربية السعودية

سليمان بن عبدالرحمن الذييب

الضَّبّ:
في رسوم صخرية من تيماء المملكة العربية السعودية

سليمان بن عبدالرحمن الذييب

إهداء

الأستاذ محمد بن حمد النجم رائد آثار تيماء

ⓒ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٤٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الذييب، سليمان بن عبدالرحمن
الضَّبّ: في رسوم صخرية من تيماء المملكة العربية السعودية./ سليمان بن عبدالرحمن الذييب. - الرياض، ١٤٤٢هـ

٢٨ص؛ ١٦,٥x٢٣ سم.- (قراءات ١٥)

ردمك: ٣-٧٧-٨٢٦٨-٦٠٣-٩٧٨

١- الرسوم الصخرية - السعودية أ- العنوان ب – السلسلة

ديوي ٩١٥,٣١٠٣ ١٤٤٢/٤٧٤٤

رقم الإيداع: ١٤٤٢/٤٧٤٤

ردمك: ٣-٧٧-٨٢٦٨-٦٠٣-٩٧٨

تصميم وإخراج

محمد يوسف شريف

إخلاء مسؤولية

تعكس هذه الدراسة ومحتوياتها تحليلات الكاتب وآراءه، ولا ينبغي أن تُنسب وجهات النظر والآراء الواردة فيها إلى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، والكاتب وحده هو المسؤول عما يرد فيها من استنتاجات أو إحصاءات أو أخطاء.

المحتويات

مكان الرسوم	٩
الضَّبّ في كتب السنة	٩
شكل جسم الضَّبّ	١٠
جُحْر الضَّبّ وطريقة بنائه	١٢
• أولًا: المعثورات	١٢
• الثاني: أسماؤه	١٣
• ثالثًا: الرسوم الصخرية	١٥

تزخر المملكة بما يمكن عَدُّهُ كنزًا حضاريًّا لا يقدر بثمن، والمتمثل في الرسوم الصخرية العائدة إلى أزمان مختلفة ما بين عصر ما قبل التاريخ إلى أواخر العصر الإسلامي، وتحديدًا في شمال المملكة وجنوبها الغربي. وتبين هذه الرسوم الجميلة تمكّن العربي القديم ليس فقط في الرسم والنحت، بل فهمه الجيد للحياة البيئية وما فيها من حيوانات ونباتات مختلفة، فأحبها وتواصل معها، ووَجَدَ بعضها صالحًا للأكل فاستأنسه ورأى البعض متوحشًا فتجنبه.

عبَّر الإنسان العربي عن فهمه لهذه الحيوانات غير المستأنسة برسمها أو نحتها بأسلوب يعكس بصدق ليس فقط مقدرته الجيدة على فن الرسم، بل على فهمه لطبيعتها وأسلوب حياتها فرسمها بتفاصيلها بأسلوب تشريحي متقن.

ومن المواقع التي عكست هذا الفن الجميل مدينة تيماء، سعدتُّ بزيارتها في الخامس عشر من شهر محرم للعام الهجري ١٤٤٢، برفقة عدد من الإخوة الأجلاء[١]، تجوَّلنا خلالها على عدد من مواقعها الأثرية، وتمكّنا -بتوفيق من الله- من رصد عدد من المواقع المهمة وتوثيقها، أبانت النشاط البشري الواضح في هذه المدينة، الغنية عن التعريف، فهي الوحيدة في شبه الجزيرة العربية التي اتخذتها دولة أجنبية عاصمة لها فاتخذها الملك البابلي نبونيد عاصمة لمملكته الآيلة إلى السقوط. للمزيد انظر: (التيمائي، ٢٠٠٥م، ص ص٢١- ٣١؛ الذييب، ٢٠١٤م، ص ص١٢- ٢٧؛ القحطاني، ٢٠١٤م). وتمتاز هذه المدينة بتنوع نقوشها وتعددها، فقد عُثر فيها إضافة إلى النقوش الآرامية (الذييب، ٢٠٠٧م، ص ص٦٨- ١٥٩)، والنبطية (الذييب، ٢٠١٤م، ص ص٣٤-١١٠)، والثمودية (الذييب،٢٠١٤م، ص ص٣٤- ١١٠)، واللحيانية (الذييب، ٢٠١٤م، ص ص١١٩- ١٢٠)، على كتابات هيروغليفية (الذيبي، ٢٠١٢م، ص ص٧-١٨؛ الذييب، ٢٠١٩م، ص ص٧٩- ٨٢).

وقبل جولتنا في مدينة تيماء كنتُ مع الباحث «مشاري بن عبدالعزيز النشمي» في جولة بمحافظة حائل، المشهورة أيضًا بمواقعها الأثرية العائدة إلى فترتين مهمتين في حياة

(١) أساس الزيارة دعوة كريمة من الأخوين مشاري بن عبدالعزيز النشمي وعقلا بن تركي الربيعة، وهما باحثان، الأول اهتم كثيرًا بمدينة حائل وتاريخها، وأصدر الجزء الأول من كتابه المعنون «معالم حضارية وفلكية من منطقة حائل بالمملكة العربية السعودية»، الذي ضمنه دراسته المتميزة عن معلم فلكي يُكتشف للمرة الأولى في شبه الجزيرة العربية، والثاني له جهد يُعرف فيشكر في إلقاء الضوء على تيماء وآثارها، وكانت جولتنا في تيماء بمعية الأخ «عبدالحميد بشير الفقيهي». كما أقدم شكري للأخ الدكتور عبدالله بن محمد المنيف الأستاذ المشارك بقسم الآثار على قرائته للدراسة.

إنسان شبه الجزيرة العربية، الأولى تعود إلى الألف الثامن قبل الميلاد، وامتازت برسومها الصخرية اللافتة، أهمها التي عُثر عليها في موقع «جبة»؛ والثانية إلى منتصف الألف الأول قبل الميلاد، وتميزت بنقوشها المكتوبة بالقلم الثمودي؛ للمزيد انظر: (الذييب، ٢٠٠٠م، ص ص٣-١٢٠؛ الذييب، ٢٠١٤م، ص ص٩-١١٢؛ الذييب، ٢٠١٧م، ص ص٧-٥٥؛ العبدالله، ٢٠١٧م، ص ص٤٧-٢٨٦؛ الذييب، ٢٠١٩م، ص ص٩-٢٢٥)، وفقنا في تسجيل عدد من المواقع وتوثيقها.

مكان الرسوم

يُعرف الموقع الذي وقفنا عليه خلال مسحنا بـ: شرقي- غربي -كما يطلق عليه محليًّا- رصدنا عددًا من النقوش العربية المبكرة منها ثلاثة نقوش ثمودية القلم تعود إلى بداية المرحلة الثمودية المتوسطة (الذييب، ١٩٩٩م، ص١٣)، إضافة إلى عدد من الرسوم الحيوانية والآدمية والأشكال الهندسية المختلفة، ومن تلك الرسوم الحيوانية: الأبقار والثيران والوعول والخيول والجمال ونقش وحيد لسمكة وغيرها، وما لفت انتباهي هو رسم متقن إلى حد كبير لثلاثة ضبان، وهو من الحيوانات الصحراوية الزاحفة، الذي ما زال البعض يجد في أكله لذة مختلفة، خصوصًا في منطقة نجد وإلى حد ما في مناطق شمال المملكة العربية السعودية وغربها.

وقد وجد إنسان شبه الجزيرة العربية أن هذا الحيوان غير المستساغ الشكل -إلى حد ما- صالحٌ للأكل بحكم ظروف البيئة القاسية وقتها، التي يقل بل تندر فيها الحيوانات الطبيعية، خصوصًا في فترة التصحر، التي نتصور أنها بدأت في وسط شبه الجزيرة العربية في نهاية الألف السادس/ الخامس قبل الميلاد، واستمرت إلى الآن. وهذا يعني أن إنسان ذلك الوقت اضطر اضطرارًا إلى أكله؛ أما في وقتنا الحاضر فلا يتعدى الأمر إلا -كما نظن- اعتباره أمرًا تراثيًّا أو تقليديًّا من أولئك الذين يجدون في أكله لذة، ضد من يرى أن لا ضرورة لأكله.

الضَّبّ في كتب السنة

ومن الأهمية الإشارة إلى عدد من الأحاديث التي تواردت عن نبي هذه الأمة تشير إلى كراهيته -صلى الله عليه وآله وسلم- لأكل هذا الحيوان، فقد ذكرت أم المؤمنين ميمونة

بنت الحارث الهلالية –رضي الله عنها– إلى ذلك بقولها: «أهدي لنا ضَبّ فصنعته، فدخل عليه رجلان من قومها فأتحفتهما به، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده ثم رفعها، فقلت: «ضَبّ أهدي لنا»، فذهبا يطرحان ما في أيديهما، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كلوه فإنكم أهل نجد تأكلونها، وإنا أهل تهامة نعافها» (ابن راهوية، ١٨٢٧). كما جاء في حديث ثان قوله –صلى الله عليه وسلم–: «الضَّبُّ لستُ بآكلهُ ولا مُحَرّمُهُ» (مسلم، ٣٧١٢)، والثالث الذي رواه حبر الأمة ابن عباس عن خالد بن الوليد حين سأل الرسول –صلى الله عليه وسلم– عن الضَّب فقال: «أحرام الضَّبُّ يا رسول الله؟»، فقال الرسول –صلى الله عليه وسلم–: «لا، ولكن لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه» (مسلم، ٣٧١٧).

ولهذا فقد اختلف العلماء في المذاهب السنية الأربعة على أكل الضَّبِّ، ففي حين أجاز ذلك جمهور العلماء من الشافعية والحنابلة والمالكية؛ فقد حرمه جمهور علماء الحنفيّة، استنادًا إلى حرمة أكل كل ذي مخلب يصيد بمخلبه، أو ذي ناب يصيد بنابه سواء من الطير أو السباع أو الحشرات أو غيرها. وقد برر الحنفيّة تحريمهم أكل الضَّبِّ باعتبارهم أن الأحاديث أعلاه كانت في بداية الإسلام، وقبل نزول الآية الكريمة «وَيُحَرّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ». ومما دفع الحنفيّة إلى هذا الحكم الطبيعة المذمومة عند الضَّبِّ المتمثلة في أكله لجْعُورِهْ إضافة إلى أكلها حُسُولها (ابن منظور، ١٩٩٤م، مج١، ص٥٣٩). في حين أن العهد القديم أكد في سفر اللاويين (١١: ٢٩– ٣٠) على تحريم أكل الضَّبِّ[٢].

شكل جسم الضَّبّ

هو حيوان بيضاوي يعيش في الصحاري والبراري سواء داخل شبه الجزيرة العربية أو خارجها يُنعت علميًّا باسم (Uromastyx)، ويُسمى أيضًا السحلية شوكية الذيل، شكله الخارجي يكاد يشبه التمساح، ويصل طوله أحيانًا إلى «٨٥سم». ويعتمد الضَّبُّ في غذائه على الجَنادِب والدَّبى والعُشْب، ولا يأكل الهوام مثل الوَرَل، واللافت أنه لا يشرب الماء إلا نادرًا. ومع أن الدراسات العلمية لم تعط هذا الحيوان مميزات واضحة، فيما عدا استخدام جلده في عدد من الأمور، مثل: حفظ الماء أو حفظ السَّمْنة كما

(٢) سفر اللاويين١١: ٢٩–٣٠: (٢٩) «وَهذَا هُوَ النَّجِسُ لَكُمْ مِنَ الدَّبِيبِ الَّذِي يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ: ابْنُ عِرْسٍ وَالْفَأْرُ وَالضَّبُّ عَلَى أَجْنَاسِهِ، (٣٠) وَالْحِرْذَوْنُ وَالْوَرَلُ وَالْوَزَغَةُ وَالْعِظَايَةُ وَالْحِرْبَاءُ».

كان يُفعل في العصور الإسلامية المبكرة (ابن منظور، ١٩٩٤م، مج١، ص٥٣٩)، وفي العصر الحديث أصبح جلده -إضافة إلى ما ذكرناه أعلاه- محفظة لحفظ المقتنيات الشخصية الصغيرة الحجم، أقول مع هذا النقص في المعلومات عنه أو عدم تميز لحمه بأمر لافت، إلا أن بعض البدو من سكان شبه الجزيرة العربية يؤكد فوائدَ من أكله، مثل المعالجة بدمه. ويرتبط العربي ارتباطًا وثيقًا ببيئته، وما يعيش فيها من حيوانات داجنة أو متوحشة، فيعرف عنها كل تفاصيلها وأساليبها وعاداتها ومميزاتها وسلبياتها؛ وهذا يعكس الارتباط القوي بينه وبين حيوانات بيئته، ومنها الضَّبُّ؛ فلم يكتف في فهمه لأساليبه المتعددة في الاختفاء وما يقتات منه، بل وهذا هو الأدهى أن العربي عَرَفَ عادات الضَّبِّ وسلوكياته بصفة دقيقة، مما ترتب عليه بعض الأمثال التي رددها العربي عندما يلحظ أن بعض الناس يتصرف على نحو يشبه تصرفات الضَّبِّ، فيقال «أعقُّ من ضَبٍ» أو «أخذهُ أخذ الضَّبّ ولده»، إذ يظن العرب أن الضَّبَّ يأكل حُسُولَه واحدًا بعد واحد، فلا ينجو منها إلا الشريد؛ لظنه -كما يقال- أنها بعد خروجها من البيض بعض أحناش الأرض. ويقول العرب «أبله من ضَبٍ»، «أحير من ضَبٍ»، «أضل من ضَبٍ»، لأن في طبعه الحيرة والنسيان. ولتميزه أيضًا بطول العمر ضُرب به المثل في ذلك، فيقال: "أحيا من ضَبٍ»، «أعمر من ضَبٍ»، ولأنه يأخذ مدة قد تصل إلى ساعات ليلفظ أنفاسه ضرب العرب مَثَلًا، وهو: «أطول ذماء من الضَّبِّ»[٣]. وما زال البعض في المملكة العربية السعودية يضرب الأمثال المتعلقة بتصرفاته، مثل: «ضَبّ يأكل من جْعُورِهْ»، يقصد به ذلك الرجل الذي يعيش من غير دخل (العبودي، د. ن، مج٢، ص٧٤٧).

جسم الضَّبِّ قصير أحرش الذَّنَب يتكون من «٢١-٢٣» حلقة شوكية منتظمة الاستدقاق من قاعدة الذيل إلى نهايته بحيث تكون أكبر حلقة عند قاعدة الذَّنَب (الذيل)، خَشِنة مُفَقَّرة ولونه إلى الصُّحْمَة وهي غُبْرَة مُشْرَبة سَوادًا، بمعنى آخر أنه يميل إلى اللون الرمادي أو البني، وإذا سَمِنَ اصْفرَّ صدره وتمتاز أطرافه بالغلظة، في كل طرف خمس أصابع مزودة بمخالب قوية. أما الرأس فمثلث عريض مزود بفكين قويين يستخدمهما

(٣) ويماثل هذا المَثَل، المثل الذي ما زال معروفًا محليًا، وهو: «ضَبّ يَطْلَع من الْقِدِر» (العبودي، د. ن، مج٢، ص٧٤٨)، يُضرب في الشخص الذي لا تنتهي خصومته.

للعض الشديد، ويستخدم مثل التمساح ذيله المزود بأشواك قوية، لدرء الخطر عنه. ويُعد من طائفة الزواحف، الذي بينت الدراسات الحديثة أنه يصنف إلى خمسة عشر نوعًا، منها ستة سُجلت في شبه الجزيرة العربية، وانتشاره غطى مساحة شاسعة من الكرة الأرضية، فقد وجد في مناطق تمتد من شمال إفريقيا إلى الجنوب الغربي لآسيا (Wilms and others, 2007).

جحر الضَّبّ وطريقة بنائه

يعيش الضَّبُّ في البيئات المفتوحة المستوية تقريبًا حيث يحفر جُحْره بنفسه ويبلغ طول الجُحْر من متر إلى مترين، وأحيانًا يصل طوله أربعة أمتار. تختلف أشكال الجُحُور وأشكال فتحاتها، فبعضها منعطف ناحية اليسار مع اتساع عند المنعطف، وبعضها منعطف ناحية اليمين وتأخذ زاوية ميل بداية الجُحْر ما بين ٣٠ و٤٠ درجة. وتأخذ الفتحات التي تكون في الغالب في اتجاه الشرق أو الشمال الشرقي، شكلاً هلاليًّا تعلوها كومة ترابية بركانية الشكل، لأن الضَّبَّ يحتاج في بداية يومه إلى تسخين جسمه. يبلغ عمق الجُحْر من عند مستوى سطح الأرض حتى العمق نحو متر إلى متر ونصف. أما من الداخل فيكون به مناطق متسعة عند المنحنيات؛ وذلك لترك فرصة لالتفاف ذيله، الذي يلتف بصعوبة، فهو شوكي ومحدود الحركة. واللافت -كما يقول العارفون والمتابعون لهذا الحيوان- علاقته القوية بالعقارب خصوصًا السوداء، التي تشاركه سكن هذه الجُحُور، وتحديدًا في العشرين إلى الخمسين سنتمتر الأولى للجحر. وفيما يظهر أن هذا التعايش الغريب يأتي غالبًا في مصلحة الضَّبّ فالأول يوفر حماية طبيعة ضد صائدي الضبان، وفي المقابل يوفر الضَّبّ المأوى وبعض الفرائس للعقرب.

وسنتناول في دراستنا هذه «الضَّبّ» -في شبه الجزيرة العربية- من خلال ثلاثة جوانب، هي: المعثورات، والنقوش، والرسوم الصخرية:

- **أولًا: المعثورات:**

عُثر في موقعين في شبه الجزيرة العربية على بقايا وهياكل عظمية لضبان[٤]، الأول في دولة الإمارات العربية المتحدة وتمثل كما ذكر التقرير آلاف البقايا العظمية (Neer

(٤) هذه الهياكل أو البقايا العظمية جاءت نتيجة إما بسبب الموت الطبيعي لهذه الضبان، أو لأنها كانت فريسة للطيور والحيوانات الأخرى أو بقايا أكل الناس لها (Monchot and others, 2014, p.96).

and others, 1993)، الثاني موقع «اليمامة» جنوب مدينة الرياض في المملكة العربية السعودية على «١٤٥» عظمًا (Monchot and others, 2014, p. 101)، من هياكل لضبان مثلت اثنين وعشرين ضَّبًّا، وهي بقايا جماجمه وأطرافه الأمامية والخلفية.

ويعود موقع اليمامة تاريخيًّا إلى الفترة ما بين القرن الثاني قبل الميلاد والثامن عشر الميلادي، حيث عُثر فيه على بقايا عظام الضب في مربعين؛ الأول: كان عبارة عن مكان نفايات في منطقة مكشوفة،

الثاني: داخل مسكن مدني، إلى جانب عظام الضَّبِّ سُجلت عظام حيوانات داجنة أخرى، مثل: الأغنام والماعز والغزلان (الغزي وآخرون، ٢٠١٧م، ص ص٢٣، ١٢٥-١٢٦؛ al-Ghazzi and others, 2017, pp. 171-2). واللافت أن الدراسات العلمية بينت بوجه واضح من خلال الفحص المخبري أن تقطيع هذه العظام كان بفعل بشري (Monchot and others, 2014, p.97).

أما ثالثًا: فقد وجدت إشارات ذكرها مؤلف كتاب «The Periplus Maris Erythraei»، عن أن أهالي جزيرة سقطرى -جنوب اليمن- يأكلون لحم هذه السحالي الضخمة (ولعله يشير هنا إلى الضبان) ويذوبون دهنها لاستخدامه كزيت (Casson, 1989, p. 69).

أما خارج شبه الجزيرة العربية، فقد عُثر على بقايا للضبان في فلسطين بكهف «قاسم»، للمزيد انظر: (Maul and others, 2011)، وكذلك في مواقع تعود إلى العصر الحجري الحديث في الصحراء الغربية بمصر، بهذا الخصوص انظر: (Van Neer and others, 1989).

ومع أن هذا الحيوان يعيش في بيئة صحراوية، أسوة بغيره من الحيوانات، إلا أننا نادرًا ما نعثر عليه وعلى بقاياه في المعثورات الأثرية التي يحصل عليها المنقب في المواقع، وخصوصًا عظامه، ويبدو أنه لصغر حجم عظامه دور في اختفاء مخلفاته.

- **الثاني: أسماؤه**

نستطيع القول إن للضَّبِّ أسماء متعددة عند قبائل شبه الجزيرة العربية في فترة ما قبل الإسلام، والموثق منها اسمان، وردا كأعلام شخصية في نقوش ثمودية، ومن معانيهما يظهر أن لهما علاقة بهذا الحيوان الصحراوي «الضَّبّ»؛ وهما:

١- ا ك ش: علم ورد في النقوش الثمودية (الذييب، ١٤٢١هـ، نق١٣٩)، في نقش يقرأ هكذا:

ل ع ذ ر ا ل ب ن ا ك شْ بواسطة عذرإيل بن أكش

والكَشّ في لغة العرب، هو «الضَّبُّ والوَرَلُ والضفْدع» (ابن منظور، ١٩٩٤م، مج٦، ص٣٤١).

٢- ع ك د: علم عُرف -حسب معلوماتنا- إضافة إلى النقوش الثمودية (الذييب، ١٩٩٧م، نق١٩؛ الذييب، ١٩٩٩م، نق٨٢)، والصفائية (CIS, nos. 1824, 3590; Winnett, Harding, 1978, no. 608). ويقرأ النقش على النحو الآتي:

ل ت م و و ج م ع ل ع ك د ب ن ف ي ش وْ ع ل ت م (و) غْ ل ق م ل
أي «بواسطة تَيْم الذي حَزن على عكد بن فيش وعلى تَيْم وعلى قَمْل»

وعند مقارنتنا لمعنى ع ك د في لغة العرب، نجد أن الضَّبّ يَعْكدُ عكدًا فهو عَكدٌ أي «سَمنْ وصَلُب لحمة» (ابن منظور، ١٩٩٤م، مج٣، ص٣٠٠؛ الفيروزآبادي، ١٩٨٧م، ص٣٨٤؛ الجوهري، ١٩٧٩م، مج٢، ص٥١١). لذا فلعل ع ك د تطلق على الضَّبِّ الصلب والسمين.

ونشير هنا إلى أن الاسم المفرد المذكر ورد ورودًا مباشرًا بصيغة ض ب م، في نقش عُثر عليه في الظعينة بمحافظة القويعية، في منطقة الرياض (الحمود، ١٤١٨هـ، نق١٠؛ الذييب، ٢٠٠٧م، ص١٤١)، يقرأ:

ب ب ع م ع س ض ب م بواسطة باعم (و) طارد (صَاد) ضبًا

أما في لغة العرب فقد تعددت أيضًا أسماؤه، وهذا التعدد في تصورنا يعكس معرفتهم بخصائص وأسرار هذا الحيوان الصحراوي، التي تناقلوها عن أسلافهم فيما قبل الإسلام. فقد عُرف عندهم بأسماء استنادًا إلى مرحلته العمرية، مثل: العُلْبُ، العَلِب، وهو الضَّبُّ «الضخم المُسِن لشدَّته» (ابن منظور،١٩٩٤م، مج١، ص٦٢٧)، والجَحْل أي «المُسِن الكبير»، وجمعه الجُحُول والجِحْلان (ابن منظور، ١٩٩٤م، مج١١،

ص١٠٠)[٥]. في حين عُرف صغير الضَّبِّ، بالحِسْل والجمع أَحْسال وحُسُول وحِسْلان (ابن منظور، ١٩٩٤م، مج١١، ص١٥١). أما من حيث ضخامة الجسم، فقد أطلق العرب اسم السّبَحْل، وهو «الضب الضخم» (ابن منظور، ١٩٩٤م، مج١١، ص٣٢٣)، و«العُدامِل والعُدامِليَّ»، وهو الضَّبُّ «الضخم القديم»(ابن منظور، ١٩٩٤م، مج١١، ص٤٣٧). ومَيّز الإنسان العربي بينَ ذكر الضَّبِّ وأنثاه، فأطلق على الأول اسم: الضَّب أو العير، وعلى الثانية «المَكُون» (ابن منظور، ١٩٩٤م، مج١٣، ص٤١٢).

- **ثالثًا: الرسوم الصخرية**

مع أن البيئة التي يعيش فيها الضَّبُّ بيئة صحراوية، إلا أنه نادر في المعثورات الأثرية خصوصًا العظام، فيبدو أن صغر حجم عظامه التي لا تنجو من مصادر الدمار، عامل رئيس في ذلك، فعدد رسومه الصخرية الموثقة قليلة جدًّا مقارنة بالأعداد الضخمة للحيوانات الأخرى، مثل: الجمال والكلاب والغزلان وغيرها؛ وما رصدناه -حتى الآن- من رسوم لهذا الحيوان، هي:

الأول: ثلاثة رسوم عُثر عليها في منطقة الجوف (أدوماتو)، التي امتازت بتقلد النساء للحكم فيها بشكل لا لبس فيه (التركي، ٢٠٠٨م، ص ص٧٦-٩٨)، مما دفع البعض إلى عدّ «سبأ القرآن» تقع في شمال شبه الجزيرة العربية، وتحديدًا على ضفاف وادي السرحان العظيم. أولها: رُسم فيه الضَّبُّ بحجم أكبر من الآخر (انظر حساب تويتر: @salamah1120). أما ثانيها فهو رسم غير متقن لما نظن أنه «ضَّبّ» (الذييب، ٢٠٠٣م، ص١٣٨، صورة رقم٢)، وجد إلى جانب نقش قصير، كُتب بأسلوب الخط العمودي، يقرأ من الأعلى إلى الأسفل، هكذا:

ل ش ف ق و ع ر ط أي «بواسطة شفيق، (الذي) وهَاجَرَ»

ويفهم من هذا النقش هجرة كاتبه «شفيق» ومغادرته لموطنه (منطقة الجوف)، إما لسبب عائلي كأن يكون قد فقد حبيبته ... إلخ، أو هربًا من بطش سياسي آنذاك. أو بحثًا عن لقمة العيش والرزق.

(٥) نشير هنا إلى أن الجَحْل يعني أيضًا «ولد الضَبّ» (ابن منظور، ١٩٩٤م، مج١١، ص١٠١).

وثالثها رسم وجده الدكتور «بدر الفقير»[٦] في جبال الطويل الواقع جنوب غرب دومة الجندل بحوالي تسعين كيلًا [٧]، انظر: (اللوحة رقم ١).

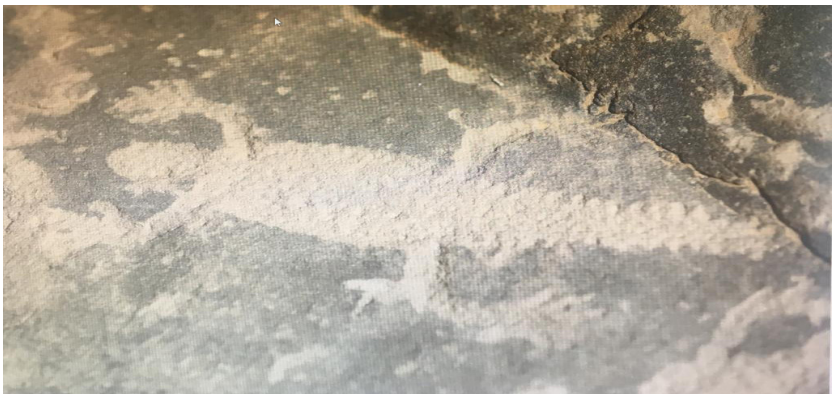

اللوحة رقم١: رسم ضب من جبل طوال في منطقة الجوف

الثاني: رسمان غير متقنين عُثر عليهما مرسومين على واجهة صخرية في وادي ضم أكبر أودية منطقة تبوك وأشهرها، الواقع شمال غرب مدينة تبوك السعودية بثمانين كيلًا (Khan, 2007, Fig 303). ويمتاز هذا الوادي إضافة إلى كثرة أشجاره، بتنوع تضاريسه ورماله وهضابه وجباله الحمراء.

الثالث: رسم لضَّبّ بحجم كبير، يُعد الأكبر حجمًا حتى الآن، وجد في موقع الشويمس بمنطقة حائل[٨] (انظر اللوحة رقم٢). وهذا الموقع «الشويمس» يتبع حاليًا منطقة حائل، ويبعد جنوب مدينة حائل بحوالي «٣٠٠» كيل. وسيتبين لزائر هذا الموقع التنوع الواضح في مواقعه الأثرية والتاريخية، التي حوت رسومًا صخرية عدة، مثل: الآدمية، والحيوانية، والزراعية، والأشكال الهندسية المتعددة، إضافة إلى عدد كبير من النقوش الثمودية.

(٦) عضو هيئة التدريس بقسم الجغرافيا، جامعة الملك سعود، له عدد من الدراسات والأبحاث الميدانية التي شملت شمال وشمال غرب المملكة العربية السعودية.

(٧) يمتاز الموقع بكثرة رسومه الصخرية (الآدمية والحيوانية والأشكال الهندسية) وبتعدد وقشه المكتوبة بالقلمين النبطي، والثمودي المنتشرين في المنطقة -آنذاك- واستنادًا إلى تقرير الباحث سلطان الدهام، المنشور في العام الميلادي ٢٠١٩م، المعنون: «التقرير المرئي عن موقع الطويل جنوب غرب الجوف»، تقرير غير منشور، فإن واجهات الموقع تضم المئات من الرسوم الصخرية والنقوش المتعددة الأقلام، التي تحتاج إلى دراسة علمية.

(٨) أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الباحثين: مالك السليمي، هيئة السياحة والآثار، وممدوح مزاول باحث آثاري نشط، على تزويدهما ليّ بصورة فوتوغرافية لرسم الضَّبّ.

اللوحة رقم٢: نحت لضَّبّ كبير الحجم نسبيًّا عُثر عليه في موقع الشويمس بمنطقة حائل

الرابع: نحتان على إحدى الواجهات الصخرية في تيماء، إلى جانب رسوم حيوانية لكلاب وأبقار ووعول ومنظر صيد؛ لكن يظل رسم الضَّبِّ غير متقن، الرسم الثاني أكبر حجمًا من الأول وأوضح، لهذا الرسم انظر: حساب تويتر: عبدالله بن منصور البراك، @abomansu)، أما الآخر فكان أصغر حجمًا. وإضافة إلى هذين النحتين لضَّبّ من تيماء فقد سجلنا في زيارتنا هذه رسومًا ثلاثًا لضبان امتازت بدقة نحتها وروعتها مقارنة ببقية رسوم الضبان الأخرى، فالعامل المشترك بين الرسوم السابقة أنها لا تصل إلى الإتقان الذي وجدناه في ضبان هذا الموقع، المسمى محليًّا «شرق- غرب»، والذي يبعد «١٢كم» من تيماء التاريخية. ولعل ما مَيّزه عن غيره من المواقع الأثرية الأخرى احتواؤه على عدد من النقوش الثمودية العائدة إلى أوائل الفترة الثمودية المتوسطة، أشهرهما نقشان وثقهما الباحث «عقلا الربيعة»، تكمن أهميتهما في ذكر الأول للملك بسران بن مضران ملك «د م ت»، والثاني أشار بصيغة تظهر للمرة الأولى إلى الملك البابلي نبونيد[٩]، وهي: ن ب و ن ا د.

(٩) للمزيد عن هذين النقشين، انظر إلى حساب الباحث عقلا الربيعة (@aqlaalrbeah)، وحساب الدكتور أحمد جلاد (@safaitic)، وكذلك إلى دراسة الحاج، (٢٠١٩، ص ص٧٨-٩٦).

وهاتان الصخرتان ازدانتا برسوم عدة لحيوانات زخرت بها المنطقة منذ عصور قديمة، تمثلت في: الوعول والحمير والغزلان، إضافة على رسوم آدمية في حالات متعددة، مثل: صيد، ومطاردة وغيرهما[١٠].

الصخرة الأولى:

اللوحة رقم٣: رسم ضبين (أنثى، وذكر)

الشكل رقم (١)

(١٠) أتقدم جزيل الشكر للأخ الدكتور فيصل بن حمد الجبرين، مدير آثار القصيم، على تفضله قراءة هذا البحث وعلى مقترحاته التي كانت عونًا لنا في إعداده.

حوت هذه الواجهة الصخرية على نحتين لحيوان الضَّبّ، الأول منهما والمرسوم في أعلى الواجهة، ذي جسم متوسط الحجم، برقبة قصيرة ورأس دون ملامح الوجه، أما البطن فجاء عريض نسبيًا، مما يوحي أنها «مكنون» أنثى الضَّبّ، وهي طبيعة جسم أنثى الضَّبّ في تلك البيئة الصحراوية. وقد أجاد النحات في نحت هذا الضَّبّ إلى حد كبير، فظهرت أطرافها المتوسطة الطول متوازنة مع نسب جسمها؛ وظهر ذيلها الشوكي على شكل حلقات برسم مميز. أما الرسم (النحت) الثاني فنُحتَ بحجم أكبر نسبيًا من حجم الأنثى، وباتجاه معاكس للأول. وقد أدى سقوط أجزاء من القشرة السطحية للصخرة، بسبب عوامل التعرية والتقلبات الجوية وربما العبث، إلى عدم تمكننا من وصفه وصفًا مناسبًا، فقد أدى سقوط القشرة إلى ضياع بعض أجزائه، ولا يتبين لنا إلا: الرأس والرقبة والأطراف الأمامية وجزء من الأطراف الخلفية إضافة إلى الذيل المقسم على شكل حلقات.

وقد نُفذ نحت أو رسم هذين الضَّبين بأسلوب الحكّ والنقر غير المباشر، باستخدام أداة حادّة، بانت من أثر الطَّرْق، الذي كان على هيئة نُقَر متتابعة دائرية وصغيرة الحجم. واستخدم النحات (الرسام) الأسلوب التعبيريّ، فأبرز حالة السكون لدى العناصر المنحوتة: البدن مع الذيل والرأس والأطراف، وأظهر الضَّبّ في وضع جمالي متناسق بين الكتلة وحدود الخطّ الخارجيّ. وتنفيذ نحت الضبين الذي جاء مقاربًا للوضع الحقيقي للضَّبّ، الانسيابي والمتناغم مع جسم الحيوان (البطن مع الذيل والأطراف) لأنثى الضَّبّ، إلا أن النحات قد أظهر بوجه واضح مهارته وقدرته التشريحيةً التي تمثّلت في معرفته بوضعية الأطراف والأصابع وامتدادها وتناسقها مع مكوّنات الجسم المختلفة. وأخيرًا نشير إلى أن نحت العناصر جاء بمنظور جانبيّ ثلاثيّ الأبعاد، فأظهر الأطراف الأربعة للضَّبين.

الصخرة الثانية:

امتاز رسم هذه الصخرة في توثيق النحات للطريقة الصحيحة للإمساك بالضَّبّ، وهي ذاتها -حسب علمي- التي ما زالت مستخدمة عند المتضبّبين، فتجنبًا لما لا يحمد عقباه؛ نظرًا لأن أسنان الضَّبّ وفكيه قوية، أمسك رقبته بيده اليمنى، وذيله باليسرى (انظر اللوحة رقم٤).

اللوحة رقم٤: الإمساك بالضَّبّ

الشكل رقم (٢)

ورُسم المتَضبّب بأسلوب حركي، فجاء ممسكًا بكلتا يديه بالضَّبَ، وأظهر الرسام تفاصيله بصفة كاملة، مثل: الرأس البيضاوي والجسم النحيل والعضو الذكري الطويل نسبيًا، والأرجل ظهرت بدرجة واضحة؛ والمؤخرة الكبيرة التي قد يبدو للبعض أن الرسام بالغ فيها والواقع أنها دقة من الرسام فأراد بهذا الحجم إظهار مدى شدة انخفاض الآدمي بغرض الإمساك بالضَّبّ، وهذا الأسلوب وجدناه في نحت آخر من الموقع نفسه (اللوحة رقم٥). أما رسمة اليدين الطويلتين بصفة مبالغ فيها فكان بهدف التعبير عن سيطرة المُتَضبّب (الصياد) وتمكنه الصحيح من الإمساك بالضَّبّ. في حين جاء نحت الحيوان قريبًا من شكل الضَّبّ الطبيعي، ومتناسقًا مع تفاصيل الجسم الأخرى.

وقد نُفذ منظر صيد (الإمساك) الضَّبّ بطريقة الحك، وملء الفراغ بلون فاتح على أرضية معتمة، واستخدم النحات بخلاف الواجهة الأولى الأسلوب التخطيطي والتجريدي؛ فظهرت الأشكال بطريقة تجريدية وعلى وجه الخصوص الشكل الآدمي. وأظهرت هذه اللوحة الفنية التناغم والانسجام بين عناصرها والهدف، والمضمون. ومثل اللوحة السابقة نُفِّذت عناصرها بمنظور جانبيّ ثلاثيّ الأبعاد، فظهرت الأطراف الأربعة للضَّبّ، مع أرجل ويدي الصياد (المتضبب). وأخيرًا نشير إلى أن وضعية المنظر يمكن عدّها في حالة الحركة والتفاعل.

اللوحة رقم٥: رسم آدمي بمؤخرة غير طبيعية

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

العهد القديم.

ابن راهويه، إسحاق بن إبراهيم المروزي (٢٣٨ هـ). **مسند إسحاق بن راهويه**، باب ما يُروى عن ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم.

http://www.hadithportal.com/index.php?show=hadith&h_id=1827&book=50

النيسابوري، مسلم بن الحجاج (٢٦١هـ). **المسند الصحيح المختصر**، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب إباحة الضب.

http://www.hadithportal.com/index.php?show=bab&bab_id=879&chapter_id=41&book=31&sub_idBab=0&f=873&e=884

التيمائي، محمد حمد السمير. **بئر هداج**. الرياض: وكالة الآثار والمتاحف، وزارة التربية والتعليم، ٢٠٠٥م.

الجوهري، إسماعيل بن حماد. **الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية**. تحقيق:

أحمد عبد الغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٩م.

الحمود، محمد سعود. **نقوش ثمودية من جبل الظعينة في شمال مدينة القويعية**. عالم المخطوطات والنوادر، ١٤١٨هـ.

الدهام، سلطان بن عبدالعزيز. «التقرير المرئي عن موقع الطويل جنوب غرب الجوف». تقرير غير منشور، ٢٠١٩م.

الذيبي، محمد بن عائل. «التواصل الحضاري من خلال نقش أثري للملك رمسيس الثالث المكتشف في تيماء في شمال غرب المملكة العربية السعودية»، **أدوماتو**٢٦، ٢٠١٢م.

الذييب، سليمان بن عبدالرحمن. "نقوش عربية شمالية من تبحر شمال غرب المملكة العربية السعودية". **دراسات** ٢٤ العدد ٢، ١٩٩٧م.

.....، **نقوش ثمودية من المملكة العربية السعودية**. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٩٩٩م.

.....، **دراسة لنقوش ثمودية من جُبّة بحائل: المملكة العربية السعودية**. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٠م.

.....، **نقوش ثمودية جديدة من الجوف - المملكة العربية السعودية**. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٣م.

.....، **نقوش تيماء الآرامية**. الرياض: منشورات مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٧م.

.....، **منطقة الرياض: التاريخ السياسي والحضاري القديم**. الرياض: أمانة مدينة الرياض، (٢٠٠٧م أ).

.....، **دراسات فريدريك وينيت لنقوش ثمودية من منطقة حائل: دراسة تحليلية**. الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ٢٠١٤م.

.....، **ددن عاصمة مملكتي دادان ولحيان: نتائج الموسم العاشر**. الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ٢٠١٦م.

.....، **الحياة الاجتماعية قبل الميلاد في ضوء النقوش الثمودية في منطقة حائل**. الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ٢٠١٧م.

.....، **النقوش الدعوية في الكتابات الثمودية بمنطقة حائل المملكة العربية السعودية**. الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ٢٠١٧م أ.

.....، **الحياة الاجتماعية في منطقة حائل من خلال النقوش الثمودية**. أبو ظبي: دار الثقافة والسياحة، ٢٠١٩م.

العبدالله، عبدالسلام بن محمد. **نقوش ثمودية من جبل أم سنمان في منطقة حائل: دراسة توثيقية وتحليلية**. الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ٢٠١٧م.

العبودي، محمد بن ناصر. **الأمثال العامية في نجد** ج ٢. الرياض: منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، (د. ت).

الغزي، عبدالعزيز، وشيتكات، جيرمي، وآخرون. "تقرير البعثة السعودية الفرنسية المشتركة في الخرج (الموسمان الأول والثاني ٢٠١١- ٢٠١٢م)". **أطلال** ٢٤، ص ص١٠٩- ١٢٦، ٢٠١٧م.

الفيروزآبادي، مجد الدين. **القاموس المحيط**. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٧م.

القحطاني، رزنه بنت مفلح. "النشاط الاقتصادي في واحة تيماء (ق٦. م_ ٢م)". رسالة ماجستير، جامعة الملك خالد، أبها، المملكة العربية السعودية، ٢٠١٤م.

المراجع الأجنبية:

al-Ghazzi, A., 2010. "A Comparative Study of Pottery from a Site in the al-Kharj Valley, Central

Arabia." *Series of Archaeological Refereed Studies* 1, Saudi Commission for Tourism and Antiquities, Riyadh.

Casson, L. 1989. *The Periplus Maris Erythraei*. Princeton: Princeton University Press.

Corpus Inscriptionum Semiticarum, (1889) ParsII.Tomus I.Inscriptiones Aramaicas Continens, Paris.

Corpus Inscriptionum Semiticarum, (1907) Pars II, Tomus 2. Inscriptiones Aramaicas Continens, Paris.

Khan, M. 2007. *Rock Art of Saudi Arabia Across Twelve Thousand Years.* Riyadh: Ministry of

Education, Deputy Ministry of Antiquities and Museums.

Maul, L.C., Smith, K.T., Barkai, R., Barash, A., Karkanas, P., Shahack-Gross, R., Gopher, A. 2011. "Microfaunal remains at Middle Pleistocene Qesem Cave, Israel: preliminary results on small vertebrates, environment and biostratigraphy", *J. Hum. E* 60: 464-480.

Monchot, H; Bailon, S; Schiettecatte, J. 2014. "Archaeozoological evidence for traditional consumption of spiny-tailed lizard (Uromastyx aegyptia) in Saudi Arabia", *Journal of Archaeological Science* 45: 96- 102.

Schiettecatte, J., al-Ghazzi, A., Charloux, G., Crassard, R., Hilbert, Y., Monchot, H., Mouton, M., Siméon, P. 2013. "Al-Kharj oasis through time: first results of archaeological fieldwork in the province of Riyadh (Saudi Arabia)." *Proc. Sem. Arab. Stud.* 43: 285-308.

Schiettecatte, J., al-Ghazzi, A., al- Hammad, Chabrol, A., A., Charloux, G., Crassard, R., Fouache, E., Gavazzi, B., Hilbert, Y., Khatib R., Monchot, H., Mouton, M., Munduteguy, L., Munschy, M., Siméon, P. 2017. "Al-Kharj 2011- 2012. 1st and 2st seasons of the Saudi- French Archaeological Mission." *Atlal* 24: 147- 80.

Van Neer, W., Uerpmann, H.P. 1989. “Palaeoecological significance of the Holocene faunal remains of the B.O.S.- missions.” In *Forschungen zur Umweltgeschichte der Ostsahara, Africa Praehistorica 2*, edited by R. Kuper, 307- 41.

Wilms, T., Böhme, W. 2007. “Review of the taxonomy of the spiny-tailed lizards of Arabia (Reptilia:

Agamidae: Lieilepidinae: Uromastyx).” *Fauna Arabia* 23: 435-468.

Winnett, F., Harding, G. 1978. *Inscriptions from Fifty Safaitic Cairns*. Toronto: University of Toronto Press.

عن الكاتب

سليمان بن عبدالرحمن الذييب المستشار الثقافي في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، وهو أستاذ اللغات العربية القديمة والآثار بقسم آثار شبه الجزية العربية في كلية السياحة والآثار بجامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا. وتتركز أبحاثه ودراساته في اللغات والكتابات العربية القديمة داخل المملكة وخارجها، مثل: الآرامية، والنبطية، والثمودية، والصفائية، واللحيانية، والمعينية. إضافة إلى تاريخ شبه الجزيرة العربية وآثارها القديمة. حصل على شهادة البكالوريوس من قسم الآثار بجامعة الملك سعود سنة ١٤٠٢هـ، والدكتوراه من جامعة درهام البريطانية عام ١٩٨٩م، عمل أستاذاً لمواد اللغات والكتابات العربية القديمة في جامعتي القاهرة والزقازيق في مصر، وعمل أستاذاً زائراً في كلية الآثار والأنثروبولوجيا بجامعة اليرموك في الأردن، وجامعة برلين في ألمانيا. تقلّد خلال عمله في جامعة الملك سعود رئاسة تحرير أربعة أوعية، منها ثلاث دوريات علمية، هي: مجلة كلية الآداب، ومجلة كلية السياحة والآثار، والمجلة التاريخية السعودية. كما كان عضو عدد من المجلات العلمية.

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

تأسّس المركز سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م لمواصلة الرسالة النبيلة للملك فيصل بن عبدالعزيز -رحمه الله- في نشر العلم والمعرفة بين المملكة وبقية دول العالم. ويعدُّ المركز منصةَ بحثٍ تجمع بين الباحثين والمؤسسات لحفظ العمل العلمي ونشره وإنتاجه، وإثراء الحياة الثقافية والفكرية في المملكة العربية السعودية، وبناء جسرٍ للتواصل شرقاً وغرباً. ويرأس مجلس إدارة المركز صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل بن عبدالعزيز، وأمينه العام هو الدكتور سعود بن صالح السرحان.

ويقدم المركز تحليلات متعمقة حول قضايا الدراسات الاجتماعية الاقتصادية، والدراسات الثقافية، والدراسات الأفريقية والآسيوية. ويتعاون المركز مع مؤسسات البحث العلمي المرموقة في مختلف دول العالم، ويضمّ نخبةً من الباحثين المتميّزين، وله علاقة واسعة مع عددٍ من الباحثين المتخصّصين في مختلف المجالات البحثية. ويحتضن المركز مكتبة الملك فيصل، ومجموعة مخطوطات نادرة، ومتحفاً إسلامياً، وقاعة الملك فيصل التذكارية، وبرنامج الباحثين الزائرين. ويهدف المركز إلى توسيع نطاق المؤلَّفات والبحوث الحالية لتقديمها إلى صدارة المناقشات والاهتمامات العلمية، متّبعاً مساهمة المجتمعات الإسلامية في العلوم الإنسانية والاجتماعية والفنون والآداب قديماً وحديثاً.

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
King Faisal Center for Research and Islamic Studies
ص.ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣ المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ (١١ ٩٦٦+) تحويلة: ٨٦٩٢ فاكس: ٤٥٧٧٦١١ (١١ ٩٦٦+)
بريد إلكتروني: research@kfcris.com